مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 8 / العـدد: 01 (2020)، ص ..- ..

البيئة الآمنة وحماية الإنسان في الفكر الإسلامي

Safe environment and human protection in Islamic though

بريكي فاتح [1]

[1] جامعة أكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)

Fatabri2012@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: ../../2020 تاريخ القبول: ../../2020 تاريخ النشر: ../../2020

ملخص:

يتطرق هذا المقال إلى موقف الفكر الإسلامي من طبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان والبيئة، وحرصه على تحقيق البيئة الملائمة لحياة إنسانية بعيدة عن المخاطر التي تترصد الإنسان، انطلاقا من رؤية هذا الفكر لهدف الوجود الإنساني ومصدره وغايته، ورؤيته لطبيعة دوره في الكون وطبيعة مسؤولياته تجاه ما يحيط به . من هنا، يسعى هذا المقال إلى فهم مكانة الإنسان في الفكر الإسلامي وسبيل حمايته ضمن تلك البيئة الآمنة .

ويسعى كذلك لتوضيح أن الفكر الإسلامي إذ يعالج قضايا جزئية فإنما ينطلق من مقاصد كلية وقواعد عامة عمادها المصلحة البشرية، فيشرّع أحكاما لقضايا جزئية عملية بناء على أدلة تفصيلية، مع تميز شديد بالمرونة ومراعاة مصالح الناس، إذ إن المنطلق في ذلك هو مكانة الإنسان في الفكر الإسلامي، من جهة، واقتضاء تلك المكانة لنواحي الحفظ والرعاية، من جهة أخرى، فلا يمكن للإنسان العيش ضمن بيئة ملؤها المخاطر، وإنما سبيل حفظ مصالحه يمر عبر تحقيق بيئة آمنة لا تعود على الإنسان بالأذى والفناء. من هنا كان الفكر الإسلامي حريصا على هداية الإنسان وإرشاده إلى كيفية استغلال عناصر البيئة التي هي نعم منّ الله بها على الإنسان.

كلمات مفتاحية: الفكر الإسلامي؛ الإنسان والبيئة؛ الحفظ و الرعاية؛ المصلحة البشرية.

المنارة للاستشارات
ww

Abstract:

This article deals with the position of Islamic thought on the nature of the relationship between man and the environment, and its keenness to achieve the appropriate environment for a human life away from the dangers that lie within man, based on this thought's vision of the goal of human existence, its source and purpose, and its vision of the nature of its role in the universe and the nature of its responsibilities towards what surrounds with it, From here, this article seeks to understand the position of the human being in Islamic thought and the way to protect it within that safe environment.

It also seeks to clarify that Islamic thought, when it deals with partial issues, is based on holistic purposes and general rules based on the human interest, so it legislates judgments for practical partial issues based on detailed evidence, with great distinction of flexibility and taking into account the interests of people, as the starting point for this is the position of man in Islamic thought. On the one hand, and requiring that status for aspects of conservation and care, on the other hand, a person cannot live in an environment full of dangers. Rather, the path to preserving his interests passes through the achievement of a safe environment that does not accrue to the human being of harm and annihilation. Hence, Islamic thought was keen on guiding man and guiding him on how to exploit the elements of the environment that are blessed by God on man.

Keywords: Islamic thought;Man and the environment; Conservation and care; Human interest.

المؤلف المرسل: بريكي فاتح

1. تمهيد:

تحتل البيئة مكانة في حياة الإنسان، إذ إن الإنسان لا تستقيم حياته إلا إذا صلح حال البيئة المحيطة به والتي تحوي منافعه الحيوية، من هنا كانت مسألة إيجاد التوازن بين حاجات الإنسان واستغلال البيئة استغلالا آمنا ضرورة ملحة لا غنى عنها لحماية الإنسان من المخاطر والأضرار المترتبة على ذلك الاستغلال السيء، ولقد عني الإسلام أشد العناية بالإنسان ذلك بأن الله خلقه على هيئة سوية وسخر له

المنارة للاستشارات

ww

المنافع الأرضية ليستقيم حال معاشه، ويتحقق هدف وجوده وغاية خلقة، يقول الله عز وجل:" أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون")المؤمنون:115 (. ولم يترك الإسلام الإنسانَ يعيش دون هداية أو توجيه، وإنما يقول الله عز وجل:" فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزن")البقرة:38(. فما موقف الفكر الإسلامي إذن من بيئة الإنسان وما موقفه تجاه الإنسان ذاته، وكيف وجه الإنسان إلى استغلال آمن للبيئة حفاظا له من بعض مخاطر الاستغلال السيء. هذا ما على هذا المقال رصده والتحقيق فيه .

البيئة لغة

كلمة البيئة عربية أصيلة(الجميلي، 1999، ص14)، و"يعود الأصل اللغوي لكلمة البيئة إلى الجذر "بوأ"، ومنه "تبوأ" أي:حل ونزل وأقام، والاسم منه: "البيئة"، بمعنى المنزل"(السحيباتي، 2008م، ص21)، و"بوأ، وتبوأ منزلا نزله، وبوأ له منزلا وبوأه منزلا هيأه ومكن له فيه "(الرازي، 1986، ص28)، وكذا "بوأ المكان: حله وأقام به كأباء به وتبوأ. قال تعالى " أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا" أي اتخذا. وتبوأ: نزل وأقام"(الزبيدي، 1987،ج 1، ص155) ، وفي القواميس اللغوية العربية نجد لهذه العبارة دلالات تحوم حول معنيين متقاربين "الأول بمعنى النزول والإقامة، والمعنى الثاني: بمعنى التهيئة"(السحيباتي، 2008م، ص22.21). ومن الألفاظ القريبة من المعنى الأول: المرجع والرجوع، والمنزل والنزول، والحمل والاحتمال، واللزوم والالتزام، والبيت للإنسان والمراح للحيوان(انظر: ابن منظور، ج 1، صفحة 37.36)، وأما المعنى الثاني لعبارة "تبوأ" فيأتي بمعنى التهيئة والتحضير والإعداد، أو تهيئة المكان للنزول به، فنقول " "تبوأه" إذا أصلح المكان وهيأه، يقال تبوأ فلان منزلا إذا نظر إلى أحسن ما يرى وأشده استواء وأمكنه لمباءته فاتخذه"(الزبيدي، ج1، ص155،وانظر: ابن منظور، ج 1، ص38).

البيئة اصطلاحا

إن عبارة البيئة تشير إلى دلالات واسعة المفاهيم في دلالاتها(الجميلي، 1999، ص14)، ومما عرفت به أنها "عبارة عن كل ما يحيط بالإنسان من عوامل طبيعية أو كيميائية أو بيولوجية أو صناعية تؤثر في الإنسان ويؤثر فيها"(الجميلي،1999، ص14)، و"هذا يؤدي إلى مفهوم موجز جامع مانع دقيق مؤداه أن البيئة هي ما يحيط بالإنسان من المكان وما يحتويه من عناصر الطبيعة، وأن البيئة: هي كل منظور، ومحسوس، ومسموع وملموس من الإنسان، يؤثر فيه ويتأثر به"(السيد الجميلي، 1999،ص14)، ونلحظ هنا أن للبيئة جانبان طبيعي وبشري (غانم، 1997م، ص14)، أو هي "في أبسط تعريف لها

المنارة للاستشارات
ww

هي: ذلك الحيز الذي يمارس فيه البشر مختلف أنشطة حياتهم"(أرناؤوط، 2000م، ص37)، إن هذه التعريفات تشير من بعيد إلى ثنائية صارخة تحتمل الصراع والتغالب بين الإنسان والبيئة، باعتبار الإنسان مشكلة وليس أداة للتوفيق وحفظ الميزان البيئي. نقرأ ذلك عند "لويس إسكندر" معبرا عن هذا المنطلق، إذ يقول: "لقد قام الصراع بين الإنسان وبيئته منذ القدم"(إسكندر، 1936م، ص8)، وهذا مما لا يقبل به الفكر الإسلامي، حيث:" يقر الإسلام نظام التعاون بديلا لمفهوم التنازع"(الجندي، ص21)، فالنظرية الأرحم والأوفق للإنسان في المنظور الإسلامي هي قوله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا عل الإثم والعدوان"(المائدة 2).

في المقابل، نجد أن "علم البيئة المعاصر المسمى بالإيكولوجيا يقرر أن البيئة هي الحيز والإطار أو المجال الأرضي المسكون بالإنسان، بما يكانفه ويعتوره ويخامره من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر بها الإنسان ويؤثر فيها"(الجميلي،1999، ص14)، والحق أنه لا يسعنا الكلام عن البيئة دون التطرق إلى علم البيئة بحد ذاته، حيث إن"علم البيئة ECOLOGY يبحث في أحوالها الطبيعية أو مجموعات النباتات أوالحيوانات التي تعيش فيها، وبين الكائنات الحية الموجودة في هذه البيئة"(أرناؤوط، 2000 م،ص37)، والإنسان لابد أن يكون قلب الميزان البيئي لا لعنصر المخل به ولا العنصر المشكل فيه. وحول هذه النقطة بالذات يكون التصور الإسلامي للبيئة باعتبار الإنسان قلبها النابض بالروح والإرادة البناءة، فتكون "البيئة بعيدا عن التعريفات اللغوية والاصطلاحية هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ويبوء إليه إذا سافر أو اغترب بعيدا عنه، فهو مرجعه في النهاية ومثابته، شاء أم أبى. وهذه البيئة تشمل البيئة الجامدة والحية، والبيئة الحية تشمل الإنسان والحيوان والنبات"(القرضاوي، 2001، ص12). إنها الوعاء المكاني والزماني الحاضن الذي يحوي حياة الإنسان بكل ما يعني ذلك من عناصر مادية وحية.

الإنسان و البيئة في المنظور الفكري الإسلامي

إن الإسلام يبني فكرته الوجودية على مركزية الإيمان بالإله الواحد، وعلى وجوب العمل بأمره ونهيه، وعلى أن الإنسان محل التكليف بهذه المهمة الجليلة المتمثلة في الإذعان والانقياد لرب العباد والعمل بالتوجيه الإلهي الذي يصب في مصلحة الإنسان في الدنيا والمعاد، وأن الدنيا التي هي محل التكليف والاختبار إطارها هذا الوجود المادي المحسوس، من هذا المنطلق نجد أن "الإسلام جاء ليوجد عند أتباعه بيئة شعارها الأمن والاستخلاف والتمكين في الأرض"(السرطاوي، 1999، ص33)، وهذا الاستخلاف لا يكون إلا وفق الهدي الرباني، يقول عز وجل "فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم

المنارة للاستشارات
ww

يحزنون"(البقرة 38)، وعليه "فإن البيئة ليست مجرد مقومات وظروف تتهيأ للإنسان دون أن يكون له دخل في توافرها أو عدم ذلك"(السرطاوي،1999، ص26)، وليست البيئة هي مدار وجود الإنسان وآلة من آلاتها أو نتيجة لآثارها، حيث يقول "لويس إسكندر" معبرا عن هذا المفهوم: "نرى البيئة تتحكم في كل مظهر من مظاهر الحياة وتسيطر على كل عمل من أعمال الإنسان"(إسكندر، 1936م، ص13)، ويقول "بوشينسكي" حول الفلسفات المادية:" إن الحدس الذي يوجد في أساس النظم الفلسفية التي عرضنا لها في هذا الباب، يقوم في إحساس حاد بضخامة الكون الذي يعيش فيه الإنسان إلى حد يبدو وكأنه يهيمن على الإنسان كل هيمنة، ويظهر الإنسان وكأنه كائن ضعيف هش وبغير أهمية تذكر وقد ألقي به في عالم لا يهتم به بل وكأنه يعاديه، ومن الواضح أن هذا الإحساس مادي في جوهره"(بوشنسكي، 1992 م، ص 102) .

في المقابل نجد أن عناصر البيئة في الفكر الإسلامي هي نعم من الله من بها على الإنسانية، يقول الله عز وجل "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا"(البقرة: 29)، وعليه فإن علم البيئة هو" دراسة للعلاقة التي تربط بين الإنسان والبيئة ومحاولة التعرف على أفضل المقومات والمعايير التي تحقق للإنسان سعادته مع هذه البيئة التي تجعل الإنسان خليفة وسيدا، وسخر له كل ما فيها من أجل أن يستغله على الوجه المعقول الذي لا يضر بنفسه ولا بغيره مما يتوقف عليه سعادته وشقاؤه"(السرطاوي، 1999، ص-26)، وهذا الذي يجعلنا " نؤكد أن البيئة لا تختلف من حيث المعنى عن الثقافة والحضارة بمعناهما الشامل"(السرطاوي،1999، ص26)، يقول "ويل ديورانت": " تنشأ الحضارة من عاملين أساسيين هما الأرض والعمل، ومن موارد الأرض الطبيعية تحولها رغبات الإنسان وجهوده إلى ما فيه منفعته"(ديورانت، 1988م، ج 2، ص6)، فلا يمكن الحديث عن الحضارة دون الإنسان والبيئة الحاضنة له، يقول "لويس إسكندر": "والحق أن الإنسان لا يمكن دراسته دون الأرض التي يفلحها أو البحار التي يجوبها"(إسكدر، 1936، ص8)، فالبيئة هي محل اختبار الإنسان ومقر أعماله، يقول عز وجل:" قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين"(الأعراف:24)، وقول تعالى: "قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدا فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(البقرة:38).

إن من الخطأ عزل الإنسان واعتباره مشكلة بدل أن يعتبر مدار النعم الكونية والبيئية ومغزى وجودها على هيئتها، من هنا وجدنا "عالم البيئة Environmentalist يعنى بدراسة التفاعل بين الحياة والبيئة"(أرناؤوط، ص 37)، ومن هذا المنطلق يسعى المفهوم الإسلامي إلى التأكيد على معنى

المنارة للاستشارات
ww

الاستخلاف في قوله تعالى "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"(هود:61)، وقوله عز وجل:" وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه "(الجاثية 13)، حيث إن " الأصل في الأشياء والظواهر أنها مسخرة للإنسان، أي لنفع الإنسان"(غانم، 1997م، ص30)، كل ذلك ضمن قانون شامل يحدده قوله عز وجل:" ولا تخسروا الميزان"(الرحمن:9). ومن خلال هذه المقاربة بالضبط لابد من فهم الميزان الكوني البيئي، بحيث " يرتبط نجاح الإنسان في البيئة على قدر فهمه لها، وتحكمه فيها، واستثماره لمواردها، فيستفيد بما هو نافع من مواردها ويعمل جاهدا على التخلص مما ينغص عليه حياته في إطار البيئة"(أرناؤوط، ص40).

هنا بالذات تكمن فلسفة الإسلام في استغلال موارد البيئة، باعتبار أن الإنسان هو أشرف وأكرم الموجودات، بل "هو محور هذا الكون وعلى قمة مخلوقاته وموضع التكريم والعناية"(التفتازاني، 1975م، ص67)، إذ إن خلق الأرض وما فيها من متاع إنما هو لغرض التمكين للإنسان حتى يتمكن من العيش فيها بأمن وسلام تام، ذلك أن الله هيأ هذا المبوأ الأرضي وما يحيط به ليكون في صالح الوجود البشري قابلا لاحتوائه وتلبية حاجاته، يقول "محمد الزحيلي": "إن الله خلق الإنسان، وخلق له ما يتوقف عليه بقاؤه ويتم به معاشه مما في الأرض جميعا، لينتفع به"(الزحيلي، 1997، ص42)، كل ذلك في نظام محكم ملؤه الكمال والتوازن، يقول عز وجل: "الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير"(الملك3.4)، يقول ابن كثير مفسرا الآية الأولى: "أي: انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا وفطورا ؟"(ابن كثير، 1999م، سورة الملك، ج8، ص177)، ثم يضيف ابن كثير مفسرا الآية التالية:" أي إنك لو كررت البصر، مهما كررت، لرجع إليك البصر خاسئا عن أن يرى عيبا أو خللا "(تفسير ابن كثير، سورة الملك، ج8، ص177)، وهنا بالذات يتبادر للذهن فكرة النظام البيئي وعلاقته بمفهوم البيئة، فالواقع أن البيئة تكتمل بوجود نظام بيئي محكم، ذلك أن "التناسق بين مكونات البيئة قائم، والتوافق بين حركة هذه المكونات قائم كذلك، الأمر الذي يجعل من البيئة وحدة كلية متكاملة"(غانم، 1997 م، ص17)، إنه الميزان المذكور في قوله تعالى "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان، والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان"(الرحمن:9.1). أي إنه "إذا تدخل البشر في هذا الإبداع الكوني والتوازن الحيوي بإحداث أي خلل في النظام البيئي فإنهم يخلون بهذا الميزان الإلهي"(أمين، 2013،ص5)، وعليه

المنارة للاستشارات
ww

"يفرق علماء البيئة بين مفهوم البيئة ومفهوم النظام البيئي، فالنظام البيئي وحدة متكاملة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية، في مكان معين، يتفاعل بعضها ببعض وفق نظام دقيق ومتوازن، يكفل وجود الحياة واستمرارها"(السحيباني، ص29)، ودونما شك فإن الإنسان عنصر من هذا النظام (انظر: أمين، 2013،ص5)، حيث يقول جلت قدرته: " إنا كل شيء خلقناه بقدر"(القمر:49)، ويقول:" وخلق كل شيء فقدره تقديرا"(الفرقان:20). فالنظام البيئي هو من المقادير والموازين التي وضعها الله في السماء والأرض لتوافق حاجات الإنسان في معاشه. أما الطغيان فهو إفساد ذلك التوازن. يقول القرطبي في تفسيره:" الطغيان مجاوزة الحد، فمن قال الميزان: العدل، قال: طغيانه: الجور، ومن قال الميزان الذي يوزن به، قال: طغيانه: البخس"(القرطبي، 2006 م، ج20، ص117)، ويضيف القرطبي: "وأقيموا الوزن بالقسط: أي افعلوه مستقيما بالعدل. الإقامة باليد، والقسط بالقلب"(القرطبي، 2006 م، ج20، ص117)، وهنا يرتبط العدل بجانب الفعل والقلب، ولا يستقيم للمسلم أن يعتقد بالحق دون فعله .

هكذا نجد أن "مفهوم البيئة في الإسلام لا يتطابق مع المفهوم العلمي فحسب، بل يمتد المفهوم الإسلامي للبيئة بدرجة أعمق وأشمل، حيث يتعمق داخل النفس البشرية بدرجة يستحيل أو يصعب على المفهوم العلمي للبيئة أن يصل إليها أو يدركها"(أرناؤوط، 2000م،ص40)، إن هذا المفهوم " يعني جملة الأشياء التي تحيط بالإنسان، بدءا من الأرض التي تقله، وصعودا إلى السماء التي تظله وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلفة، كما أنه يعمق داخل النفس البشرية لضبط ما فيها من نوازع الشر ويسعى إلى تهذيبها واستخدامها في صالح البيئة ككل والإنسانية جمعاء"(أرناؤوط،2000،ص63)، و"أهم طريقة للعلاج هو غرس الضمير الديني الذي يجعل الإنسان رقيبا على نفسه"(أمين، سنة 2013،ص15)، والسعي نحو تحقيق مكانة الرقابة الذاتية، وذلك " لأن شريعة الإسلام لا تقف بالإنسان عند حدود الماديات وشكلها وإنما تجعلها وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى والمقصد الأسنى، وهو تزكية النفس و تطهيرها"(أرناؤوط، 2000،ص63). من هنا نجد أن "الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق الضروريات الخمس: النفس والنسل والمال والعقل، والدين، وتحقيق هذه الضروريات يحدث أثرا مهما في خلق بيئة سليمة وتحقق الخلافة التي خلق الله الإنسان لأجلها، فمتى اختلت عقيدته لا يستطيع كبح جماح شهواته في الاستئثار بالموارد الطبيعية واستغلالها لصالحه ومنع الآخرين من استغلالها، وكذلك سيكون أداة فساد في الأرض لعدم وجود الوازع الديني الذي سيوقف سيطرته وأنانيته"(أمين، 2013، ص13).

المنارة للاستشارات
ww

إن الإسلام يؤسس منهجا تربويا نفسيا وسلوكيا ونظاما تشريعيا محكما يحفظ به الإنسان وبيئته المحيطة به، ولذلك"يقول تعالى:" قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"(أرناؤوط، 2000، ص63)، فالإنسان "له إرادة فاعلة وهي جزء من إرادة الله يتميز بها عن الحيوان"(الجندي، 1979 م، ص12)، من هنا كانت المكونات المعنوية للبيئة " تشمل على إرادة الإنسان – سواء إرادة الخير أو الشر – وفعله بالبيئة وما يترتب عليها من آثار بيئية حميدة أو عواقب وخيمة وهي بمثابة الضابط والمهيمن على المكونات المادية للبيئة"(أرناؤوط، 2000، ص75).

إن خلاف الإسلام مع الفلسفات المادية، هو حول الجانب الروحي والمعنوي باعتبار القيم التي يحتكم إليها الإنسان والمصدر السماوي الذي يعتبر سبب وجود الإنسان(الجندي، 1979، ص 4)، حيث ينطلق الفكر الغربي من نظرية " الصراع من أجل البقاء" وهي فكرة تؤدي إلى القول بأن العالم كله صراع وتنافر، بينما الفكر الإسلامي يقول غير ذلك، و" يبين خطأ القول بتنازع البقاء وتبين أن تعاون الكائنات أظهر وأقوى وأكبر أثرا من تنازعها"(الجندي، 1979، ص5)، فالفكر الإسلامي "يؤمن بأن الثبات والتغير من القوانين الطبيعية في حياة البشرية والإنسان وفي الكون نفسه، وأن الإنسان في صورة خلقه وفي حياته يتحرك داخل إطار واضح محدود منذ الولادة إلى الوفاة، وقد تتغير الأساليب والملابس والوسائل ولكن تبقى القواعد الأساسية ثابتة، النوم واليقظة، والسكون والحركة، والطعام والشراب، هناك قيم ثابتة، ولكن أساليب العمل بها تتغير وتتطور من عصر إلى عصر ومن بيئة على بيئة حسب الظروف والحاجات"(الجندي، 1979، ص5) إذ يقول الله تعالى: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"(المؤمنون115)، ويقول عز وجل:" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، ذلك أن دورة الحياة والموت لا تفسر ماديا، إلا إذا أضيف إليها نوع الأعمال والمعتقدات. بذلك يتميز البشر عن باقي الكائنات والموجودات، وبذلك يتفضل المصلح على المفسد. يقول الله تعالى: "والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء لأعنتكم "(البقرة 220).

في الواقع، تحتاج الأخلاق إلى صفة الإلزام والرسوخ في الضمير الإنساني، من هنا عرف علماء الإسلام الأخلاق بكونها "هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر منها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي تصدر هي المصدرخلقا سيئا"(سعد الدين، 2002 م، ص25)، ويحدد علم الأخلاق الإسلامي " مسؤولية الفاعل وجزاءه على أعماله،

المنارة للاستشارات
ww

ويؤكد على أن "هناك ارتباط وثيق بين مفهوم الأخلاق ومفهوم الإيمان"(سعد الدين، 2002م، ص26) ولقد خلص إلى ذلك من علماء الغرب "إمانويل كانت "، ففي كتابه "نقد العقل العملي" " أشار إلى أن البشر وهبوا طبيعة تجعلهم لا يستقيمون أخلاقيا إلا بالإيمان بوجود إله، وأن مفهوم الإله لا يمكن الاستغناء عنه، لبناء نظام أخلاقي"(هوفمان، 2011، ص32)، وإن "مكارم الأخلاق التي تواضعنا عليها، للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع لابد لها عند اعتلاج الشهوات في الشدائد والأزمات أن تعتمد على الإيمان، بل إن هذا الشيء الذي نسميه ضميرا إنما يعتمد في سويدائه على الإيمان"(الغزالي، 2005 م، ص188)، ويقول"هوفمان": لا يستطيع العلم إنتاج القيم ولا حتى حمايتها، ذلك لأن القيم . بالتعريف الذي يقول به العلم لا عقلانية بالكلية، وهكذا فسوف تنهار مجتمعاتا خلال ليلة واحدة إذا لم يكن 99,9 % من الناس يهتدون بالقيم التقليدية في معظم حياته"(هوفمان،2011، ص65)، إن الإسلام يصنع في الضمير الإنساني فكرة الوعي البيئي، وهو "الإحساس الذاتي بأهمية العمل التسخيري الذي تقوم به البيئة لنفع الإنسان، بتزويده بمقوات الحياة وعوامل البقاء، لكي يتمكن بدوره من أداء مهمته الاستخلافية في الأرض، بإعمارها تحقيقا للغاية من خلقه، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى"(غانم، 1997، ص 192)، إن هذا الوعي "يولد داخل الإنسان دافعا أخلاقيا للمحافظة على موارد البيئة"(غانم، 1997، ص 192).

إن الإسلام يؤكد على أن "الخالق المهيمن على الكون كله واحد، و أنه المنظم له والموجه لكل جزء فيه واحد لا يشركه في أمره شريك"(حبنكة، 1979،ص177)، ذلك أن "الله أرسل الرسل ليذكروا الإنسان بالصراط المستقيم، يقول عز وجل "الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى (الأعلى:3.2)"(غارودي، 1999، ص34)، وعلى هذا الأساس وبناء على الهدي الإسلامي المؤمن بالإله الواحد والإرشاد الرباني النابعة من صفات الربوبية الحقة، يعمد التشريع الإسلامي إلى توجيه الإنسان إلى ما فيه صلاح دنياه وأخراه يقول عز وجل: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"(النحل:97). والصلاح يكون وفق ما تمليه هدايات الوحي الإلهي متبوعا باجتهادات عقول علماء الأمة ممن تحققت فيه شروط ذلك الاجتهاد.

من هنا كان الاجتهاد بذل الوسع في الوصول إلى الحكم الشرعي بخصوص وقائع معينة، يقول الله تعالى:"والذين لا يجدون إلا جهدهم"(التوبة:79)، و"الاجتهاد في اصطلاح الأصوليين هو: بذل المجهود في العلم بأحكام الشرع "(الفوزان، 1993، ص6)، من هنا نفهم أن "الإسلام منهج إلهي من حيث

المنارة للاستشارات
ww

الأصول، ووضعي بشري من حيث التطبيق والتفاصيل"(الجندي، ص8)، وإن مقاصد الشرع ربانية في منطلقها وغايتها وإنسانية في سيرها وحركتها، فكل المصالح المتوخاة خلالها هي لأجل صالح الإنسان وسعادته، وهي " ذات أصول إلهية على أساس التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة"(الجندي، 1979، ص8)، ومن هذه النقطة بالذات "تتولى الشريعة الإسلامية السمحة إرشاد الإنسان إلى طرق المحافظة على البيئة التي يعيش فيها وبعث ملكات الخير في النفس على حساب الحد من إرادة الشرور والعدوان على البيئة"(الأرناؤوط، ص75) .

إن مفاتيح توجيه وتقويم ذاك العمل الإنساني الوجداني والجسماني نجدها في ثنايا الكتاب الإلهي الحكيم، حيث يقول عز وجل:" وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون""(الجاثية:13)، ويقول الله تعالى:" وابتغ فيم آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين"(القصص:77). وهذا الإرشاد صريح في جواز استغلال خيرات الدنيا بالعدل والابتعاد عن الجور . نقرأ قوله تعالى: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"(الأعراف:56). ونقرأ معنى هذه الآية في مدارك التزيل للنسفي،حيث يقول:" أي بالمعصية بعد الطاعة، أو بالشرك بعد التوحيد، أو بالظلم بعد العدل"(النسفي، 1998،ج1، ص 574)، فقمة العدل هو استغلال الشيء على وجهه الصحيح فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف ؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار"(ابن حنبل، ج11، ص6360، رقم7065). يقول الله عز وجل:" وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين"(الطبري، 2001م، ج10، ص155) .

إن وجود الإنسان في بيئته الأرضية بما تحويه وما يحوم حولها . إنما يتصل مباشرة بالغاية التي يوجد لأجلها الإنسان . بحسب المنظور العقدي الإسلامي . من هنا فإن علم البيئة له صلة وثقى بالعقيدة الإسلامية وبعلم أصول الدين "من حيث إنه يجعل كل مكونات البيئة وعناصرها الجامدة والحية، العاقلة وغير العاقلة : كلها مخلوقات ساجدة لله تعالى مسبحة بحمده، لقد خلق الله الإنسان على طبيعة مزدوجة، ففيه العنصر الطيني، وفيه العنصر الروحي"(القرضاوي،2001، ص21. 22)، بمعنى "أن الإنسان في جانبه العضوي اللاإرادي ينتمي إلى البيئة الطبيعية، والإرادي مكلف، وهو الإنسان بوصفه مخلوقا واعيا يملك القدرة على الاختيار"(غانم، 1997م، ص 15.14)، فكان الإنسان في أعلى مراتب التكريم عند

المنارة للاستشارات
ww

خلقه ليؤدي دوره الأساسي في هذا الوجود الفسيح، و يحمل أمانة من عند خالقه،إذ يقول الله عز وجل:" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنا وأشفقن منها وحملها الإنسان"(الأحزاب:72)، فكانت الأمانة عبارة عن أدوار أو مهام ثلاثة، وهي" تعتبر الأهداف الكبرى للحياة الإنسانية، أو كما عبر الإمام الراغب الأصفهاني "هي مقاصد الله تعالى من المكلفين": المقصد الأول: عبادة الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات:56)"(القرضاوي،2001، ص23)، وأما المقصد الثاني" فهو "خلافة الله في الأرض، وإليه الإشارة بقوله تعالى:" إني جاعل في الأرض خليفة "(البقرة: 30)، وخلافة الله إنما تتم بإقامة الحق والعدل، ونشر الخير والصلاح، كما قال الله لداود:" يا داوود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله "(ص:26)"(القرضاوي،2001، ص23)، وثالث المقاصد هو"عمارة الأرض، وإليه الإشارة بقوله تعالى:" هو أنشأكم من الأرض واستعملكم فيها"(هود:61)، ومعنى استعمركم: طلب إليكم أن تعمروها"(القرضاوي،2001، ص23).

الفكر الإسلامي و حفظ الإنسان ضمن البيئة الآمنة

للفكر الإسلامي علاقة بالبيئة من حيث تشريعاته، وهذا التشريع الإسلامي "جامع وشامل لكل نواحي الحياة مرشد لكافة أنواع الصلاح" (أرناؤوط، ص 70)، يقول أبو إسحاق الشاطبي:" المعتمد عندنا هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد، فإن الله تعالى يقول في بعثة الرسل وهو الأصل:"رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"(النساء:165)، "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"(الأنبياء 107)"(الشاطبي، 1997، ج2، ص12)، ومنظوره الفقهي، باعتبار أن علم الفقه " هو العلم الذي ينظم علاقة الإنسان بربه، و علاقة الإنسان بنفسه، و علاقة الإنسان بأسرته و مجتمعه، وعلاقة الإنسان بالكون من حوله، وفق الأحكام الشرعية الخمسة المعروفة،و هي : الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة والإباحة""(القرضاوي،2001، ص38)، من ثم "قرر فقهاء الإسلام أن الشريعة الإسلامية حاكمة على جميع أفعال المكلفين، بحيث لا يخلو فعل من الأفعال عن حكم من هذه الأحكام الشرعية، فلا غرو أن تستوعب شؤون الدنيا والآخرة، وتضم العبادات والمعاملات، وتشمل العلاقة بالخالق والعلاقة بالخلق، وتضم في رحابها الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والثقافة، وكل ما ستصل بالحياة الإنسانية"(القرضاوي، 2001، ص38)، وأما "عن الثروة النباتية فإن القرآن الكريم والسنة الشريفة يعنيان ببيان الثروة النباتية عناية فائقة، تجلى لنا من خلالها أبرز صفات وملامح تلك النباتات،

المنارة للاستشارات
ww

وكذلك خواصها، وعلاقة الإنسان والحيوان بها"(أرناؤوط، ص70)، كذلك" حفلت آيات القرآن بذكر الثروة الحيوانية في البر والبحر بكافة أنواعها وأوصافها وفوائدها، فضلا عن ضرب المثل ببعضها وصولا إلى العظة والاعتبار، كما حفلت السنة المطهرة ببيان أسلوب المحافظة عليها والرفق بها، يتضح ذلك في مثل قوله تعالى:" ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم""(أرناؤوط، ص71). وبالنظر في ذلك التشريع الإسلامي التفصيلي "يتبين أن للبيئة صلة عميقة وواسعة بهذا الفقه، وبكثير من أبوابه. فأول ما يتصل بالبيئة من الفقه نجده في كتاب الطهارة، وبالصلاة وأحكامها، وبالزكاة والصدقات والأوقاف، وبالحج والحرم والإحرام، وتحريم الصيد وقطع النباتات ونحوها مما يتصل بما يسمى البيئة المحمية وبإحياء الموات في فقه المعاملات، وبالزروع والغرس والمزارعة والمساقاة، وتدخل في أبواب متفرقة من أبواب الفقه، الذي ينظم الحياة الإسلامية كلها بأحكام الشرع ويقود الدورة الحضارية للأمة المسلمة ""(القرضاوي،2001، ص39) .

بالإضافة لما سبق، يتأطر الفقه الإسلامي ضمن أصول الشريعة العامة والقواعد الفقهية التي تبرز الانسجام التشريعي ويقينية الأحكام ومتانة صلتها بمصادر التشريع من كتاب وسنة وغيرهما، وهذه القواعد الفقهية "يدخل كثير منها في أمر البيئة، وينظمها ويحميها، ويوفر لها الرعاية المنشودة "ومن أشهر هذه القواعد: قاعدة "لا ضرر ولا ضرار""(القرضاوي،2001، ص39، 40) وهذه القاعدة العظيمة "تبين أن كف الأذى مبدأ إيماني هام: فلقد جاء الإسلام بقواعد سامية لإرساء مبدأ كف الأذى ودفعه سواء في الجانب المادي أو المعنوي"(الأرناؤوط، ص118)، وهي "مأخوذة من نص حديث نبوي، صححه العلماء بمجموع طرقه، ولكن الحديث مقتبس من نصوص آيات قرآنية عدة تنفي الضرر والضرار، كقوله تعالى في نفي الضرر: "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما"(النساء:29)، وقوله:"لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"(البقرة 195)، وفي نفي الضرار قال تعالى:" لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده"(البقرة:233)،"ولا يضار كاتب ولا شهيد"(البقرة:282)، "ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا"(البقرة:231)"(القرضاوي،2001، ص40). إن هذه القاعدة "هي من جوامع كلم الرسول عليه الصلاة والسلام التي أصلها من الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه وأخذه من غير وجهه، وقيل الضرر أن يضر والضرار أن يضر بمن قد أضر به على وجه غير جائز، وهذا على نحو قوله عليه الصلاة والسلام:" أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"(السرطاوي،1999، ص127).

المنارة للاستشارات
ww

هذا، ويتأطر الفكر الإسلامي أيضا ضمن الجانب الأصولي العام المعبر عن المقاصد الكبرى للدين، فقد "ثبت أن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية، فذلك على وجه لا يختل لها نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء، وسواء في ذلك ما كان من قبيل الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات"(الشاطبي، 1997،ج2، ص62). وإن "مجموع الضروريات خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل"(الموافقات، الشاطبي، 1997، ج2،ص20)، ومن خلال هذه المقاصد الكبرى للدين تبرز دعوة الإسلام إلى حماية الإنسان وما يتعلق به(انظر: أمين، 2013،ص9)، و" قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق اختلال الحاجي بوجه ما، وقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما، فلذلك إذا حوفظ على الضروري فينبغي المحافظة على الحاجي، وإذا حوفظ على الحاجي فينبغي المحافظة على التحسيني، بمعنى أن التحسيني يخدم الحاجي والحاجي يخدم الضروري"(الشاطبي، 1997، ج2،ص31)، ومما لاريب فيه أن "إفساد البيئة وتلويثها واستنزاف مواردها، والإخلال بتوازنها وهو ما عبر عنه إسلاميا الإفساد في الأرض يضيع هذه المقاصد، ويجني على هذه الضروريات كلها"(القرضاوي،2001، ص52). وهو ينافي الصلاح والإصلاح في الأرض، وهذا منهي عنه، إذ "يقول تعالى:" وابتغ فيما آتاك الله الدار؟ الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" ويقول تعالى:" من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولائك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب""(أرناؤوط، ص114)، وإنا نلحظ في التشريع الإسلامي "الاعتماد على مدخل الوقاية والعلاج معا: فالإسلام يتعامل مع المشكلات البيئية عل مستويين: مستوى الجذور العميقة والقريبة، ومستوى ما ينجم عنها وينتج، فهو يعمل جاهدا على عدم حدوثها، وإذا حدثت عالجها بما يستحق، ومعنى ذلك أنها تربي فيه السلوك البيئي الصحيح بالإضافة إلى سن التشريعات الملزمة التي تحول دون ذلك العدوان وتتعامل معه بفاعلية وكفاءة إذا وقع"(أرناؤوط، ص126) .

تشريعات الفكر الإسلامي وحماية الإنسان ضمن البيئة الآمنة

لقد ربط الإسلام بين السلوك والإيمان، و"الإسلام بوصفه مبدءا إنسانيا بل هو مركز القمة من المبادئ الإنسانية، لأن الله قد اختاره للناس، لابد وأن يكون له أطراف ثلاثة وهي:" فلسفة علمية تكون عقيدة المسلم، ومظاهر سلوكية على وفق عقيدته، وغايات وأغراض ينشدها من إسلامه"(حبنكة،1979، ص78)، فنجد أن الإسلام يؤكد على وسط بيئي ملائم وعلى حق الإنسان في الحياة والصحة والأمن

المنارة للاستشارات
ww

(السحيباني، 2008، ص48)، و"لذلك حذر القرآن الكريم من استغلال عناصر الكون للضرر والإضرار والفساد والإفساد،وأحاطه بسياج من التوجيه والتنبيه ليبقى على الصراط السوي ويسعى نحو الخير، ويتجنب سبل الشر"(الزحيلي، 1997، ص45)، فتم التأكيد على حرمة الضرر والإضرار، حيث" جاء الإسلام بقواعد سامية لإرساء مبدأ كف الأذى ودفعه سواء في الجانب المادي أو المعنوي" (الأرناؤوط، ص 118) .

أمام تلك المخاطر المهددة للوجود الإنساني وصحة الأفراد، واكتمالا لرعاية الإنسان وحفظه من الأضرار والأمراض، جاء "التأكيد الحازم على نظافة البيئة وعدم تلوثها، وربط كل ذلك بعبادة الإنسان وتكليفه، فكما هو معلوم لا صلاة بغير طهارة لكل من الجسم والملبس والمكان"(الأرناؤوط ص127)، يقول الشاطبي: "وأما التحسينيات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وهي جارية فيما جرت فيه الأوليان: ففي العبادات، كإزالة النجاسة. وبالجملة الطهارات كلها. وستر العورة وأخذ الزينة، وفي العادات كآداب الأكل والشرب ومجانبة المآكل النجسات والمشارب والمستخبثات، وفي المعاملات كالمنع من بيع النجاسات"(الموافقات، الشاطبي، ج2، ص23).

إنه لا غنى للمجتمعات عن الثقافة الوقائية، حماية لها من الهلاك، و" في الأصل، تهتم الرعاية الصحية الأولية بالوقاية من المرض"(شلدون، 2010، ص605)، وذلك تماما ما نراه في النظام الصحي الإسلامي، حيث إن "أبرز الإجراءات الوقائية لحفظ البيئة البشرية هي عناية الإسلام بتربية الإنسان على الطهارة والنظافة والدعوة إلى تنظيف الجسد والثياب والأواني والأثاث، وقد جاء ذلك البيان القرآني في قوله تعالى: "وثيابك فطهر" قوله تعالى: "وإن كنتم جنبا فاطهروا"(أمين، 2013،ص16)، ومعلوم أن الإسلام "أوجب الوضوء للصلاة سواء كانت فرضا أو تطوعا، وكذلك للطواف بالكعبة ومس القرآن الكريم، قال النبي صلى الله عليه وسلم :"لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ" (رواه البخاري)"(الغرياني، ج1، ص 128)، يقول "ويل ديورانت" حول الطهارة في الإسلام: " ولابد أن يسبق الصلاة الوضوء، وإن كانت الصلاة تؤدى خمس مرات في اليوم فقد أصبحت النظافة من الإيمان بحق. وكان النبي يحذر المسلمين من إهمال الوضوء ويقول لهم إن الله لا يقبل الصلاة بلا وضوء، ويحث على تنظيف الأسنان قبل الصلاة"(ديورانت، المجلد 4، ج 2، ص119)، إن " قوله تعالى في سياق آية الوضوء "ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج و لكن يريد ليطهركم"، وقوله تعالى "ليطهركم" ظاهر في التعليل بالتعبد بالتنقي

المنارة للاستشارات
ww

والتوقي عن القاذورات والغبرات" (الأبياري، 2013، ص487). وقد "جاء النهي عن قضاء الحاجة في المواضع التي يحتاجها الناس، عن أبي هريرة قل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا اللعانين" قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال: ذلك الذي يتخلى في طريق الناس أوفي ظلهم"(مسلم، رقم 269)"(السحيباني،2008م، ص457 . 458). ولقد حرص الإسلام على تعميم النظافة في كل الأمكنة، فقد جاء في كتب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة "، محمد بن أحمد بن بسام المحتسب،قوله :" ويأمر أهل الأسواق بكنسها وتنظيفها من الأوساخ، وغير ذلك مما يضر بالناس فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"لاضرر ولا ضرار" مسلم 1517"(ابن بسام، 2003م، ص297 . 298).

لقد اعتنى الإسلام بحماية الإنسان من تلوث الهواء و بتحسين نوعيته، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليزرعها"(رواه أحمد و البخاري وأبو داود)"(غانم، 1997م، ص188)، والواقع أن "السبب الرئيسي لبعض الأمراض التي يعاني منها الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين هو تلوث الهواء"(السحيباني،2008م، ص287)، وقد لاحظ ابن خلدون دور الهواء بالنسبة لحياة الإنسان وصحته، إذ يقول: "وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء"(ابن خلدون، 2001م، ص376.377) ويرشد ابن خلدون إلى طريقة في التخطيط العمراني لتحسين نوعية الهواء فيقول:" من الحكمة أن تخلل الخلاء والقفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا فإن الموتان يكون في المدن الموفورة أكثر من غيرها والله يقدر ما يشاء من أمراضهم "(ابن خلدون ص 376 . 377).

كذلك حرص الإسلام على حفظ المياه من الملوثات، يقول صلى الله عليه وسلم :" اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل"(أبو داود، حديث رقم26، ص21)، وحول مكانة المياه يقول تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي "(الأنبياء:30)، ومع ذلك "ثبت من قديم أن الماء وسيلة وعامل حيوي نشيط في نقل كثير من الأمراض للإنسان"(الجميلي، 1999، ص77)، يقول "ريتشارد ووكر": "الماء الذي لا غنى للحياة عنه يجب أن يكون خاليا من العوامل الممرضة التي تسبب عند شربه الإقياء والإسهال"(ووكر، 2007 م، ص21)، لذلك "حرص الإسلام على المحافظة على الإنسان في طعامه وشرابه ونفسه واطمئنانه، فنهى عن أن يبول في الماء أو يتغوط فيه، سواء كان جاريا أو راكدا"(السرطاوي،1999، ص94)، فلا يجوز البول في البرك والآبار ويحرم ذلك(انظر: الغرياني، ج1، ص40)، بل يكره استعمال الماء القليل الذي خالطته نجاسة حتى و لم تظهر عليه عوارض التغير ، قال

المنارة للاستشارات
ww

صلى الله عليه وسلم:"لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل فيه"(رواه البخاري)"(انظر: الغرياني، ج1، ص39)، أما "الماء النجس وهو الماء الذي حلت فيه نجاسة فغيرته لونه أو طعمه أو ريحه، فهذا لا يجوز استعماله في الطهارة كالوضوء والغسل، ولا في حاجات الناس المعتادة كالأكل والشرب، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"إن الماء طاهر إلا إن تغير ريحه وطعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيها"(الغرياني، ج 1، ص37).

كذلك، في التشريع الإسلامي استدعت سلامة الإنسان تبيان أحوال وأصناف الأشياء من حيث حليتها وحرمتها، وخاصة المطعومات والمشروبات، يقول ابن خلدون "واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"(ابن خلدون، ص521.520)، وفي وصية للأمير أبي بكر بن عمر يقول " أبو بكر الحضرمي": "واعلم أن بطنك لا يسع جميع الأطعمة، فاختر له أفضلها، وفضل الطعام من عدة أوجه : أولها قرب وجوده، والثاني تمام نفعه، والثالث قلة ضرره، والرابع لذاذة طمه، والخامس ذكاء ريحه، والسادس إحكام صنعته"(الحضرمي، 2003 م، ص 24 .25)، وباستقرائنا لحكم الأطعمة في الإسلام نستنتج قاعدة تضبط سبب تحريمها في الإسلام، حيث " تصنف الأطعمة المحرمة إلى مجموعة أسباب تتعلق بالحرمة، السبب الأول: الضرر اللاحق بالبدن أو العقل، سواء كانت حيوانية أو نباتية أو جامدة، كالسمك السام، والثمار السامة، أو كالزرنيخ، لقوله تعالى "ولا قتلوا أنفسكم"(النساء:29) السبب الثاني: الإسكار أو التخدير أو الترقيد: كالخمر والحشيشة، والسبب الثالث: النجاسة كالدم وغيره، والسبب الرابع: الاستقذار عند ذوي الطباع السليمة: كالروث والقمل والبرغوث "(حميدة، 2009 م، ط 1، ص26 . 28).

هذا، وتستند أحكام الأطعمة في الإسلام إلى الكتاب والسنة ، يقول الطبري: "وقوله "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث "وذلك لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله"(الطبري، 2001م، ج13، ص167)، ويقول ابن كثير في تفسيره:" وقوله "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث: كل ما أحل الله تعالى فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه فو خبيث ضار في البدن والدين" (ابن كثير، 1999م، ج3، ص488). ومن أحكام الكتاب قوله تعالى " قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به " الأنعام 145" (موسوعة الأطعمة في الإسلام، 2009م، ص 16). إن "قوله تعالى "إلا ما يتلى عليكم" من قوله تعالى "حرمت عليكم الميتة"(المائدة:3)"(ابن العربي، 2003 م،

المنارة للاستشارات
ww

القسم2، ص14)، و" قوله تعالى "أحلت لكم بهيمة الأنعام "(المائدة:1): الإبل والبقر والغنم والظباء والحمر الوحشية"(ابن العربي، 2003م، القسم 2، ص12. وانظر: أوزدمير، 2008 م، ص33)، وفي قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق"(المائدة:3)، وقوله تعالى:" والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون"(النحل:8)، و لقد "ذكر الله الخيل والبغال والحمير، فكشف قناعها وبين انتفاعها وذلك الركوب والزينة كما بين في تلك المتقدمة : الدفء واللبن والأكل"(ابن العربي، تفسير سورة النحل، 2003 م،،ج3، ص121).

أما السنة النبوية " فنذكر أن النبي صلى الله عليه سلم نهى عن الآتي: أكل كل ذي ناب من السباع، كل ذي مخلب من الطير، الحمر الأهلية، الهرة، النحلة، الرمية، الصرد، العقرب الفأرة، الكلب العقور، المجثمة، الجلالة وشرب ألبانها، النملة، الهدهد، القرد، الغراب، الحدأة"(حميدة، 2009م، ص25. 26) .

الخاتمة :

سعى الفكر الإسلامي بمناهج تربوية و تشريعية إلى تحقيق مصالح الإنسان كلها، وحرص على صيانتها وحفظها . فإلى جانب النعم الربانية التي خلقها الله لصالح الإنسان، اقتضى حسن التدبير الإلهي توجيه الإنسان إلى أكمل السبل لاستغلال منافع البيئة باعتبار أن شريعة الإسلام شاملة جامعة. يقول الله عز وجل:" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا "، ومن حسن التدبير الإلهي توجه الفكر الإسلامي إلى حفظ بيئة الإنسان والأخذ بيده إلى أقوم السبل لاستغلالها أأمن استغلال بعيدا عن مهالك الجهل والاستغلال السيء، حتى يتمكن من العيش فيها بسلام وأمن .

قائمة المراجع:

1. إ. م. بوشنسكي، ترجمة عزت قرني،(1992م)، الفسلفة المعاصرة في أوروبا، سلسلة عالم المعرفة، العدد 165
2. إبراهيم أوزدمير،(2008م)، الإسلامبلنسية للنشر والتوزيع، ط 1
3. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي . ت 790هـ .تحقيق، مشهور آل سلمان،،دار ابن عفان،(1997م)، الموافقات، السعودية ، ط 1، 1997

المنارة للاستشارات
ww

4. أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي،تحقيق يوسف علي بديوي،(1998م) ،مدارك التنزيل و حقائق التأويل، دار الكلم الطيب، ط1، بيروت.
5. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،تحقيق سامي بن محمد السلامة،(1999م)،تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر و التوزيع، السعودية، ط2، سورة الملك، ج8 .
6. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج 1، مادة بوأ
7. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني،(1975م)، الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
8. أبو بد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت 671 هـ،(2006م)،الجامع لأحكام القرآن، ،مؤسسة الرسالة، طبعة 1،ج20 ،بيروت
9. أبو بكر محمد ابن العربي،(2003م)، أحكام القرآن، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، القسم2.
10. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن تفسير الطبري جامع البيان عن تفسير آي القرآن.
11. أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، كتاب السياسة، أو الإشارة في تدبير الإمارة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت.
12. أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي و إبراهيم الزيبق،(1997م)، مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 1، ج11
13. الإسلام و التربية البيئية، محمد السيد أرناؤوط، دار الأمل، 2000 م،مصر، ط1
14. أنور الجندي،(1979م)، أخطاء الفلسفة المادية، دار الاعتصام، مصر.
15. إيمان عبد المؤمن سعد الدين،(2002م)، الأخلاق في الإسلام النظرية و التطبيق، ،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية، ط1 .
16. جمال فاتح علي أمين،(2013م)، البيئة في أصول الفقه ورعاية البيئة، ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 8، العدد 1.
17. حسين مصطفى غانم،(1997م)، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى.

المنارة للاستشارات
ww

18. روجيه غارودي،(1999م)، الإسلام و القرن الواحد و العشرون . شروط نهضة المسلمين، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب و النشر، المغرب.
19. ريتشارد ووكر،(2010م)، الأوبئة والطاعون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1.
20. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط و زيله،(2009م)، دار الرسالة، ط، 1، دمشق ، جزء 1.
21. السيد الجميلي،(1999م)، الإسلام والبيئة، مركز الكتاب للنشر،القاهرة، ط1
22. شلدون واتس، ترجمة أحمد محمود عبد الجواد،(2010م)، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة.
23. الصادق عبد الرحمن الغرياني،(2006م)، مدونة الفقه المالكي، مؤسسة الريان، لبنان.
24. صالح بن فوزان الفوزان،(1993م)، الاجتهاد، ، دار المسلم، ط 1،الرياض.
25. عادل عبدالقادر حميدة،(2009م)، موسوعة الأطعمة في الإسلام و أحكامها بين العلم و الإيمان، الدار العالمية للنشر و التوزيع، مصر، ط 1.
26. عبد الرحمن بن خلدون،(2001م)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، لبنان، 2001 م
27. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،(1979م)، العقيدة الإسلامية و أسسها، دار القلم،ط 2، دمشق.
28. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،(1979م)،العقيد لإسلامية و أسسها، ، 2، دار القلم، دمشق.
29. عبد الله بن عمر السحيباتي،(2008م)، أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، ،دار ابن الجوزي، السعودية، ط1.
30. علي بن إسماعيل الأبياري ت 618 هـ، حقيق علي بن عبد الرحمن الجزائري،(2013م)، التحقيق و البيان في شرح البرهان في أصول الفقه، الجزء 3، دار الضياء الكويت، ط1.
31. فؤاد عبد اللطيف السرطاوي،(1999م)، البيئة والبعد الإسلامي، دار المسيرة ،عمان، ط1
32. لتركي، مركز البحوث و الدراسات العربية و الإسلامية، السعودية، ط1،تفسير سورة الأعراف، ج10
33. لويس إسكندر،(1936م)، الإنسان والبيئة، مكتبة النهضة المصرية، مصر

المنارة للاستشارات
ww

34. محمد الغزالي،(2005م)،حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام و إعلان الأمم المتحد، نهضة مصر للطباعة النشر والتوزيع، ط4، مصر.
35. محمد بن أبي بكر الرازي،(1986م)،مختار الصحاح،، مكتبة لبنان،بيروت، 1986، مادة بوأ
36. محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، (2003م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1.
37. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،(1987م)،تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، طبعة وزارة الإعلام، ط 2، الكويت.
38. مراد هوفمان، ترجمة عادل المعلم و نشأت جعفر،(2011م)، خواء الذات و الأدمغة المستعمرة، مكتبة الشروق الدولية، ط 2، مصر.
39. وهبه الزحيلي،(1997م)، حقوق الإنسان في الإسلام، دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي و الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، دار الكلم الطيب
40. ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: زَكي نجيب محمُود وآخرين،(1988م)، قصة الحضارة، المجلد الرابع، دار الجيل، لبنان.
41. يوسف القرضاوي،(2001م)، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق،ط1، القاهرة.

المنارة للاستشارات
ww